شخصية السَّامِرِي دراسة في سيرة حياته

أ.م.د. محمد يونس فلح

م.م. رياض احمد عبد

الملخص

هذا البحث يعطي جزءا يسيرا عن شخص السامري صانع العجل الذي في قصة سيدنا موسى، والذي امتاز بمواهب عدة اذ لم يكن شخصاً اعتيادياً، فكان يتطلع في كل مرة أن يكون له شأنٌ ما، يراقب ما يجري من قريب، ويتحين الفرص بين الحين والأخر لتنفيذ ما يدور في عقله من فتنة تجعل بني اسرائيل شيعا، ويردهم على اعقابهم، وينقلهم من التوحيد الى دروب الضلالة، فاستغل ذهاب سيدنا موسى لميقات ربه في الطور، فنفذ ما اراد وانتشرت الفوضى وانقسم جمع معه وجمع آخر مع نبي الله هارون الذي قام بنصح من عبدوا العجل، الا ان السامري أعمى بصيرتهم بفتنته المضلة، فقد كان مطاعا في بني إسرائيل، فهو صاحب شخصية ازدواجية، إذ لم يكن مؤمناً بشريعة نبي الله موسى بل كان مشركاً منافقاً، يُظْهِرُ الايمانَ ويُبْطن الكفر، ومثل هذه الشخصية يُمْكِنُ أن تتكرر في حياة الرُّسل (‡).

Abstract

This research gives a small part about the person of the Samaritan, the calf maker in the story of our master Moses, who was distinguished by several talents that give an indication that he was not an ordinary person, as he always aspired to have something important, when crossing the sea he was in the forefront of men He watches what is happening from close, and looks for opportunities from time to time to implement what is going on in his mind of sedition that turns the Children of Israel into sects, turns them back on their heels, and moves them from monotheism to the paths of misguidance whenever the matter finds opportunity. What he wanted, chaos spread, and one group was divided with him, and another group was with the Prophet of God, Aaron The one who advised those who worshiped the calf, but the Samaritan blinded them with his misguided temptation, for he was obeyed among the Children of Israel. The character can be repeated in the life of the apostles

المقدمة

الحمد لله الذي الموصوف بصفات الكمال، المنْعوت بنُعوت الجلال، المنزه عن الشبيه والمِثال، في الذات والصفات والأفعال، واحد أحد فردٌ صمدٌ حيٌّ قيوم الكبير المتعالآآ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الخلق والجمال، زيْن الفعال، وعلى آله وأصحابه ما تعاقب غدو وآصال.

وبعد:

فان البحث في علم مقارنة الاديان، يدخلنا الى تفاصيل عقائد أمم وأديان كانوا يدينون بها، وتصورات يتمسكون بها، وهكذا فتح الطريق أمامنا إلى تتبع هذه العقائد ومعرفتها والوقوف على مضامينها، لذا فان اليهودية كانت دين توحيد خالص، بيد أن أتباعها قاموا بتشويهها فانتقلوا من دروب الهداية الى مهاوي الشرك والضلالة، إلا ان ما ورد إلينا من خلال التوراة التي بين أيدينا الآن والتي تحتوي على أكاذيب مختلقة وافتراءات فاسدة، شوهت صورة الأنبياء ونسبت لشخصهم أبشع الصفات، التي لا يجرؤ احد على قولها إلاَّ من أغلق الله قلبه عن الإيمان، كذلك فإنَّ التوراة المزعومة لا تخلو من التحريف والتزييف، اذ اوردت الكثير من النصوص المحرفة التي حَوَتْ جملة من الافتراءات الباطلة في حق الانبياء، منها اتهامهم هارون (؛) بصنع العجل، واغفال شخصية مهمة كان لها الدور البارز في انحراف عقيدة بني اسرائيل، والتي ذكرها القرآن أعني بذلك (السامري)، تلك الشخصية التي أثير حولها كثير من اللّغط والجدل، وجاء ردُّ القرآن محكماً صريحاً واضحاً، بالحقائق والحجج الثابتة، بأن الانبياء منزَّهون عن النقائص والوقوع في الكبائر، ونقل القرآن الحقيقة في قصة السامري كما هي من غير زيادة او نقصان.

فكانت هناك اسباب لاختيار البحث منها:

١- التعرف على شخصية السامري وسيرته، حيث امتلك السَّامري مواهب تبين انه لم يكن شخصاً اعتيادياً، اذ كان يتطلع في كل مرة أن يكون له شأنٌ بين بني اسرائيل، وسيتم ذلك من خلال ما ورد الينا من آثار وأخبار في كتب الحديث والتفسير.

٢- معرفة أصل السامري والى أي قبيلة ينتمي، وذلك من خلال ما هو راجح ومؤكد بالدليل.

٣- إدراك حجم الفتنة التي احدثها السامري في بني اسرائيل، والتي بسببها نكصوا على اعقابهم وعبدوا العجل الذهبي.

٤- الوصول إلى الحقيقة في مسألة مصير السامري ومآله الذي ذكره القرآن الكريم مجملا، وما تناولته كتب التفسير مفصلا.

ومن خلال كتابتي لم تواجهني أية صعوبات في الموضوع، فالمصادر متيسرة للباحثين، كما ان اهداف البحث التي ارومها هي إظهار سيرة السامري في القرآن الكريم وكتب التراث حتى تتضح

الصورة أكثر، لان الكتاب المقدس لم يذكر عن السامري أي شيء، متهما نبي الله هارون عليه السلام قيامه بصنع العجل.

اما بالنسبة لمنهجي في هذا البحث، فإن الأسلوب المستخدم في العرض هو أقرب الى المنهج الاستقرائي، اضافة الى المنهج التاريخي حيث قمت بتتبع سيرة السامري حسبما ورد الينا من اخبار وآثار، وعزو الآيات الواردة في البحث الى مواضعها في القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية، وعزو نصوص الأسفار الخمسة الواردة في البحث بإحالتها الى مواضعها بذكر اسم السفر ورقم الإصحاح، وتوثيق المعلومات، والتعريف بالكلمات الغريبة الواردة في البحث وأخرجها في الحاشية.

واقتضت خطة الموضوع أن تتكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة وكما يلي:

المبحث الاول: وينقسم الى مطلبين، المطلب الأول: اسمه ونسبه، والمطلب الثاني: ولادته ونشأته.

واما المبحث الثاني: فينقسم الى مطلبين، المطلب الاول: شخصيته وميوله، والمطلب الرابع: مصير السَّامري والإله المزعوم

وهذا جهد المقل ولم يجعل الله العصمة لاحد من خلقه إلا لرسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، ولا كمال إلا لكتابه فنستغفر الله من كل خطأ او زلة، وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب.

المبحث الاول: شخصية السَّامري :

المطلب الأول : اسمه و نسبه :

اسمه:

أورد الشنقيطي (:) في تفسيره اسماءً للسامري: قيل اسمه هارون وقيل موسى بن ظفر[١]، وأورد ابن الجوزي (:) في المنتظم أن اسم السَّامري (منجا)[٢] وأورد الشعراوي (:) في تفسيره أنّ اسمه موسى السَّامري [٣].

(١) ينظر: أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، محمد الامين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (بيروت-١٩٩٥)، ٧٨/٤.

(٢) ينظر: المنتظم في التاريخ الامم والملوك، جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا- مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت-١٩٩٢م)، ٧٤/١.

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي(الخواطر)، محمد متولي الشعراوي، مطابع اخبار اليوم، (القاهرة-١٩٩٧)، ٥ / ٣٠١٤.

واسمه بالإنجليزية (Moses the Samaritan) وبالعبرية (משה השומרוני)، لكن في الحقيقة أن القرآن لم يصرح باسمه بل أتى بلقبه فقط منعاً للخلط؛ ولعلَّ السبب في ذلك أنه لا يستحق هذا الاسم العظيم، كما أنه لم يرد ذِكْرُهُ في العهد القديم [١] من الكتاب المقدس مطلقاً.

أصل اشتقاق كلمة (السَّامري): أصلها: سمر، والسُّمْرَةُ: مَنْزِلَةٌ بَيْنَ الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ، أَسمر وسَمَرَ يَسْمُرُ سَمْراً وسُمُوراً لم ينم، وَهُوَ سامرٌ وَهُمُ السُّمَّارُ والسَّامرَةُ والسَّامرُ: اسْمٌ لِلْجَمْعِ كالجَامِلِ وفي التنزيل العزيز مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ [٢] سامراً يَعْنِي سُمَّاراً، والسَّمَرُ: المُسامرَةُ، وَهُوَ الْحَدِيثُ بِاللَّيْلِ، وَقِيلَ: السَّامرُ والسُّمَّارُ الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ يَتَحَدَّثُونَ بِاللَّيْلِ، وفي حديث: ذم السَّمَرَ بَعْدَ الْعِشَاءِ [٣] وأنشد:

وسَامرٍ طَالَ فِيهِ اللَّهْوُ والسَّمَرُ [٤]

يقول عبد الله يوسف علي [٥]، إن كلمة السَّامري قد تكون مأخوذة من كلمة (SHEMER) المصرية القديمة والتي تعني الأجنبي أو الغريب، وعليه فقد يكون السَّامري هذا عبرياً متمصراً أو مصرياً متهوداً، وهو في كِلا الحالين غريب بالنسبة لبني إسرائيل، وقد يكون هذا السَّامري خفيراً ليلياً

---

(١) العهد القديم: هو القسم الأول من الكتاب المقدس المعتمد حاليا، والغالب أن النسخة المعتمدة حاليا هي المسماة: المسورة؛ أي التقليد، وهي النسخة التي أعدها علماء يهود في طبريا على مدى ما يزيد عن ستة قرون من القرن السادس الى القرن الثاني عشر للميلاد. ينظر: موسوعة الاديان الميسرة، احمد راتب عرموش واخرون، دار النفائس، ط١، (بيروت–٢٠٠١)،٣٧٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآية (٦٧).

(٣) حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْدِبُ لَنَا السَّمَرَ بَعْدَ الْعِشَاءِ "، ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ت، رقم الحديث (٣٦٨٦)، ٦/ ٢١٢، هذا الحديث وَهِمَ عطاء بن السائب في إسناده، فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب: (٣ / ٣٧٥).

(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، دار صادر، ط١، (بيروت– د.ت)، ٣٧٦/٤.

(٥) عبد الله يوسف علي، عالم هندي مسلم، ترجم القرآن الكريم للغة الإنجليزية، درس الأدب الإنجليزي في عدة جامعات أوروبية منها جامعة ليدز البريطانية، ترجمة: ويكيبيديا الموسوعة الحرة: https://ar.wikipedia.org/.

إذا ما اشتق هذا الاسم من كلمة (SHOMER) العبرية، أو أن يكون صاحب خفة وطرب وسمر إذا كان الاشتقاق من كلمة (سمير) العربية قال الازدي [١]:

هُنالِكَ لا أرْجُو حَياةً تَسُرُّنِي سَمِير اللَّيَالي مُبْسَلاً بِالجرَائر [٢]

وقيل كان أبو الطيب المتنبي [٣] قد قال قصيدة يمدح بها المغيث بن علي بن بشير العجلي:

تُحَايِـدُهُ كَأنَّكَ سَــامرِيٌّ تُصَـافِحُهُ يَدٌ فِيهَا جُذَام[٤]

واختلف العلماء والمفسرون في تحديد معنى هذا الاسم على قسمين:

ذكر بسام جرار أن الاسم نسبة إلى (شومير) والذي يعني بالعبرية الحفظ والحراسة، وهذا يجعل من المحتمل أن يكون السَّامري أحد كبار الكهنة، ومن حراس وحفظة العقيدة الوثنية، ومنهم من قال: نسبة إلى (سامر) العربية والتي تعني الساهر، فإنها تلتقي في مآل المعنى مع شومير، التي تعني الحراسة، وأمثال هؤلاء الكهنة والحراس يكون لديهم العلوم والقدرة التي تميزهم على أهل

(١) عمرو بن مالك الأزدي: من قحطان، شاعر جاهلي، يماني، كان من فتاك العرب وعدّائيهم، وقيست قفزاته ليلة مقتله، فكانت الواحدة منها قريبا من عشرين خطوة. وفي الأمثال: " أعدى من الشنفري " وهو صاحب " لامية العرب "، شرحها الزمخشريّ في " أعجب العجب ". ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١٥، (د.م-٢٠٠٢)، ٨٥/٥.

(٢) ينظر: الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، (د.ط)، (القاهرة-٢٠٠١)، ١/ ٨١.

(٣) أَبُو الطَّيِّبِ: أَحْمَدُ بنُ حُسَيْنِ بنِ حَسَنِ الجُعْفِيُّ الكُوْفِيُّ الأَدِيبُ، الشهيرُ بِالمُتَنَبِّي، شَاعِرُ الزَّمَانِ، وُلِدَ سَنَةَ ثَلاَثٍ وثَلاَثِ مائَةٍ، وَأَقَامَ بِالبَادِيَةِ، يَقتبِسُ اللُّغَةَ وَالأَخبارَ، وَكَانَ مِنْ اذكيَاءِ عَصْرِهِ، توفي سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ. ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، (د.م-١٩٨٥)، ١٩٩/١٦.

(٤) تحيد عن هذا المال كما يحيد هذا الرجل كان يقول لمن أراد مسه لا مساس عن يد فيها هذه العاهة وكان من حقه أن يقول كأنك السامري، لأن هذا نسب له ليس باسم علم، وهو في القرآن مذكور بالألف واللام إلا أن يريد واحدا من قبيلته، إذ كانت هذه العلة عامة فيهم. ينظر: شرح ديوان المتنبي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، النيسابوري، (د.ن)، (د.ط)، (د.م-د.ت)، ١ / ٨٥.

عصرهم، ويغلب أن تكون لديهم قدرات قيادية، وقد يفسر هذا السرعة التي استطاع فيها السَّامري أن يضلَّ بني إسرائيل [١]، ويستغل غيبة موسى (؛) [٢].

وأورد القاسمي: أن معنى (السَّامري) اليهودي الذي وسوس لقوم موسى (؛) أن يعبدوا العِجْل ويتخذوه الهاً اثناء غيبة موسى (؛)، والسامري في لغة العرب، بمعنى اليهودي، من ادعى تسميته أو حاول تعينه [٣]، وعلى هذا يتبين ان السامري يهودي الاصل.

وذكر صلاح الخالدي: أن السَّامري اسم علم أعجمي، ورد في القرآن ثلاث مرات في قصة نبي الله موسى (؛) في سورة طه، و(السَّامري) ليس ممنوعا من الصرف، وسبب صرفه دخول (أل التعريف) عليه، والعلم الاعجمي يصرف عند إدخال (أل التعريف) عليه[٤].

وأما نسبه:

لم يذكر القرآن الكريم عن (السَّامري) أمر بدايتِه ولم يحددْ نَسَبه، وكُلّ ما عرفناه أنه كان يعيش مع بني إسرائيل وهم في سيناء، وكما أبهم القرآن بدايته، كذلك أبهم نهايته، فهناك من قال: أن الياء في (السَّامري) يمكن أن تكون ياء النِّسبة، فيكون منسوباً إلى قبيلة السَّامرة، باعتبار أحد أبنائها، وهي قبيلة إسرائيلية، أطلق اسمها على منطقة (السَّامرة) في فلسطين، وهي نابلس وما حولها، وفي نابلس بقايا منهم يقال لهم: (السَّمُرَة) [٥]. وهناك من قال: يمكن أن تكون الياء في (السَّامري)

(١) إسرائيل: عبرية وتعني المجاهد مع الله، وهي تسمية أطلقت على يعقوب ذلك الرجل الذي صارعه طوال الليل، او الله، فسر الكتاب المقدس هذا الاسم بـ"قوي الله"، وفسره اباء الكنيسة من يرى الله، ويطلق هذا الاسم على شعب الله، بصفته انحدر من ابناء اسرائيل الاثني عشر. ينظر: قاموس اديان ومعتقدات شعوب العالم، صلاح قنصوة وسعيد جمعة واخرون، مكتبة دار الكلمة، ط١، (القاهرة-٢٠٠٤)، ٢٧-٥٦.

(٢) ينظر: السامري: مقالة بقلم، بسام جرار، الرابط: http://www.islamnoon.com/Asrar/samri.htm.

(٣) ينظر: محاسن التأويل: محمد بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت-١٩٩٦)، ٧ /١٤١.

(٤) ينظر: الاعلام الاعجمية في القرآن، دار العلم، (د.ط)، (دمشق- د.ت)، ١٩٦،١٩٧.

(٥) السَّمُرَة: طائفة من اليهود، وهم اتباع السامري الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله: (واضلهم السامري). ينظر: البداية والنهاية، لابي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار احياء التراث العربي، ط١، (د.م- ١٩٨٨)، ١٤/ ١٩.

أصلية، مثل: عليّ وقصيّ، وهذا هو الارجح، لأن الاسم أعجمي وليس عربياً مشتقاً، ولا نبحث له عن معنى في العربية [١].

وأختلف العلماء والمفسرون في نَسَبِهِ على أقوال، ومِنْ أبرزها:

-إن (السَّامري) عند الأكثر كما قال الزَّجَّاج (:) [٢]: كان عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة تعرف بالسَّامرَة، وهم إلى هذه الغاية في الشام يُعْرَفون بالسَّامريين، وقيل: هو ابن خالة نبي الله موسى (؛)، وقيل: ابن عمِّه، وقيل كان عِلْجَاً [٣] مِن كَرْمَان [٤]، وقيل من أهل (باجَرْما) [٥] وقيل: كان من القِبْطِ [٦] وخرجَ معَ نبي الله موسى (؛) مُظْهِراً الإيمان وقيل: كان جاره[٧]، وقيل: كان من عباد البقر وقع في مصر، فدخل في بني إسرائيل بظاهره وفي قلبه عبادة البقر[٨] ، ولعلَّ هذا هو الراجح.

(١) ينظر: الاعلام الاعجمية في القرآن، الخالدي، ١٩٦- ١٩٧.

(٢) ينظر: معاني القرآن واعرابه، ابو اسحاق الزجاج، ابراهيم بن السري بن سهيل، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، (بيروت- ١٩٨٨)، ٣/ ٣٧١.

(٣) العِلْج: الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الْغَلِيظُ؛ وَقِيلَ: هُوَ كلُّ ذِي لِحْية، وَالْجَمْعُ أَعْلاج وعُلُوج، واسْتَعْلَج الرَّجُلُ: خَرَجَتْ لِحْيَتُهُ وغَلُظ واشتدَّ وعَبُل بَدَنُهُ، والعِلْج: الرَّجُلُ مِنْ كفَّار الْعَجَمِ، وَالْجَمْعُ كَالْجَمْعِ، والأُنثى عِلْجة، وَزَادَ الْجَوْهَرِيُّ فِي جَمْعِهِ عِلَجة. وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الْقَوِيِّ الضَّخْمِ مِنَ الْكُفَّارِ. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣٢٦/٢.

(٤) كَرْمَانُ: بالفتح ثم السكون، وآخره نون، وربما كسرت والفتح أشهر بالصحة، وكرمان في الإقليم الرابع، وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، وهي بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشي والضرع تشبّه بالبصرة في كثرة التمور وجودتها وسعة الخيرات. ينظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، ط٢، (بيروت-١٩٩٥م)، ٤٥٤/٤.

(٥) باجَرْما: بفتح الجيم، وسكون الراء، وميم، وألف مقصورة: قرية من أعمال البليخ قرب الرّقّة من ارض الجزيرة. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٣ /٣١٣.

(٦) القبط: القبط أَوْلَاد قبط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح (؛)، وروى ابْن سعد عَن الزُّهْرِيّ مُرْسلا أَن رَسُول الله ﷺ قَالَ: (إذا ملكتم القبط فَأحْسنُوا إِلَيْهِم فَإِن لَهُم ذمَّة وَإِن لَهُم رحما). ينظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت-١٩٩٨)،١٨٩/١-٤٩٧.

(٧) ينظر: معاني القرآن واعرابه، الزجاج، ٣٧١/٣.

(٨) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ابو الفضل، محمود الالوسي، دار اجيال التراث العربي، (د.ط)، (بيروت-د. ت)، ٢٤٤/١٦.

قال سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ[١]: كان من أهل كَرْمَان[٢]، وقال قتادة[٣]: كان من قرية "سامرا" [٤]، وليس وليس المراد من كلام قتادة أنه يريد بلدة (سامراء) التي في العراق، لأن بلدة سامراء كانت عاصمة الدولة العباسية بعد بغداد، وكان اسمها القديم (سُرَّ مَنْ رَأى)، وقد بنيت سنة (٢٢١ هـ -٨٣٥ م) في عهد الخليفة العباسي(١٧٩ هـ- ٢٢٧هـ) لتكون عاصمة دولته، ولا سيما إذا علمنا أن قتادةَ تُوفيَ سَنَةَ (١١٨ هـ) فهل يعقل أنه يتحدث عنها قبل بنائها بأكثر من قرن.

ومجموع هذه الأقوال الواردة آثارا كانت أم أقوالا، كلها تعطي تصورا وافيا عن الموضوع، وإن كانت مختلفة إلا أن كل إمام أو مفسر حلل تسمية السَّامري أو نسبه بحسب ما يمتلكه من معطيات بين يديه، وذلك وفق آلية علمية معتبرة من خلال النقل أو الإستنباط القائم على الدليل.

المطلب الثاني :ولادته ونشأته :

إنَّ ممَّا نقل مِنَ خِلال المَصَادر التاريخية وكتب التفسير والحديث الشريف في شأن السَّامري ونشأته روايات وآثار عدة، بعضها صحيح وبعضها ما كان ضعيفا والبعض الآخر ما هو مسكوت عنه لا نصدقه ولا نكذبه، ولربما هناك من يقول: إن القرآن الكريم لم يتناول أي شيء عن ولادة السَّامري ونشأته، نعم هذا صحيح، إذ كما هو معلوم أن القرآن الكريم لا يدخل في أدق التفاصيل، لأن غاية القرآن الكريم إيصال الفكرة من خلال القصة القرآنية وأخذ العبرة والعظة منها.

وما نقله أهل التفسير: أَنَّ أمَّهُ -أي السَّامري-حِينَ خَافَتْ أَنْ يُذْبَحَ خَلَّفَتْهُ فِي غَارٍ وَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِ، فَكَانَ جِبْرِيلُ يَأْتِيهِ فَيَغْذُوهُ بِأَصَابِعِهِ، فَيَجِدُ فِي بَعْضِ أَصَابِعِهِ لَبَنًا، وَفِي الْأُخرى عَسَلًا، وَفِي

(١) سَعِيْدُ بنُ جُبَيْر: بنِ هِشَامٍ الوَالِبِيُّ مَوْلاَهُم، المُفَسِّرُ، الشَّهِيْدُ، أَبُو مُحَمَّدٍ الأَسَدِيُّ، الوَالِبِيُّ مَوْلاَهُم، الكُوْفِيُّ، احد الأَعْلاَمِ، رَوَى عَنِ: ابْنِ عَبَّاسٍ - فَأَكْثَرَ وَجَوَّدَ -. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤ /٣٢١.

(٢) ينظر: اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي،٧٨/٤.

(٣) قَتَادَةُ بنُ دِعَامَةَ: بنِ قَتَادَةَ بنِ عَزِيْزٍ السَّدُوْسِيُّ، أَبُو الخَطَّابِ السَّدُوْسِيُّ، البَصْرِيُّ، الضَّرِيْرُ، الأَكْمَهُ. (٦٠-١١٨هـ)، ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢٦٩/٥.

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت -١٩٩٧)، ٢٧٥/٥.

الْأخرى سَمْنًا. فَلَمْ يَزَلْ يَغْذُوهُ حَتَّى نَشَأَ[1]، لذا فإن لهذه التربية ربط وثيق مع حادثة قبض السَّامري من أثر سيدنا جبريل (؛) يوم النَّجاة، سيتناول في موضعه بإذن الله، ولَرُبَّ قائل يقول: لِمَ وضعتْه أمُّهُ بعيداً عن أعين الناس، وذلك لأن الأمر الفرعوني الذي صدر بقتل كل مولود يولد في بني إسرائيل بحسب رؤيا رآها فرعون، لذلك ولدته امه متوارية عن أعين الجند.

وفي رواية أخرى: أخرج ابن جرير عن ابن عباس (ب) أن امه حين خافت أن يُذبح خلفته في غار وأطبقت عليه، فكان سيدنا جبريل (؛) يأتيه فيغذوه بأصابعه في واحدة لبنا وفي الأخرى عسلاً وفي الأخرى سمنا، ولم يزل يغذوه حتى نشأ [2].

والتعليق على هذه الرواية: إن نَقْلَ مِثْلَ هذا عن ابن عباس (ب) منكرٌ لا يَصِحُ، فإنها من رواية الكلبي عنه، وطريق الكلبي: هو طرق رواية التفسير عن ابن عباس، قال السيوطي: وأوهى طرقه – يعني طرق التفسير عن ابن عباس– طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب [3].

وذكر الشعراوي: أنه كان من جملة صبيان غيبهم الآباء والأمهات مخافة أن يذبحهم فرعون فربتْهم الملائكة، لذلك عبَّرَ الشاعر عن هذه اللَّقْطَة وما فيها من مفارقات بين نبي الله موسى (؛) وموسى السَّامري فقال:

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، (القاهرة–٢٠٠٠)، ٦٦٩/١.؛ الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، (د.ط)، (بيروت–د.ت)، ٥٩٥/٥. ؛ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي ط١، (بيروت– ١٩٩٧)، ٢٣٨/١.

(٢) ينظر: روح المعاني، الالوسي، ٢٤٤/١٦.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)،(القاهرة–١٩٧٤)،٢ /٤٩٧–٤٩٨.؛ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (بيروت–د.ت)،٣١٦. ؛ وينظر في ترجمة الكلبي، ورد مروياته: " ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر،ط١، (بيروت – ١٩٦٣)، ٣ /٥٥٧–٥٥٩.

إذا لمْ تُصَادِفْ في بنيكَ عِنَايَة فقدْ كَذَبَ الرَّاجي وخابَ المُؤمَّلُ

فمُوسَى الذي رَبَّاهُ جبْريلُ كَافِرٌ وَمُوسى الذي رَبَّاهُ فِرْعَون مُرْسَلُ [١]

يتضح ممَّا سبق أن السعادة والشقاوة بيد الله، فموسى بن عمران ربَّاه فرعون فكان مؤمناً، وموسى السَّامري ربَّاه جبريل فكان كافراً، فلم تنفع تربية الأمين لموسى السَّامري، ولم تضر تربية اللعين لموسى الكليم (؛) [٢].

هنا نقف حيارى أمام تلك المفارقات بين القدرة والقدر، والعناية والهداية، والنّور والعمى، لذلك أحسن من قال:

إذا المرءُ لَمْ يُخْلَق سَعِيدَاً مِنَ الأزَلِ فَقَدْ خَابَ مَنْ رَبَّى وخَابَ المؤمَّلُ [٣]

وما سبق من الأبيات لا يُعْرفُ له أصلٌ في نصوص الشريعة، فلا يعوَّل عليه، وذَكر المحقق ابن عاشور (:): أنَّ هذا لا يوجد –أيضا– في كتب الإسرائيليين [٤].

إشارة مهمة: إن موضوع مولد ونشأة السَّامري لم يتطرق إليه القرآن البتة، إذ كما هو معلوم أن القرآن يذكر أبرز ملامح الشخصية فقط دون ذكر التفاصيل، وبالمحصلة فقد جادت كتب التراث الإسلامي بتفاسيرها وأقوال أئمتها ما يغني الباحثين للإطلاع والتوسع في تفاصيل شخص السَّامري ولمعرفة المزيد من اخباره بالإمكان العودة إليها[٥]، حتى تتحصل الفائدة منها وما له ارتباط وثيق ببقية محاور الرسالة.

---

(١) ينظر: تفسير الشعراوي(الخواطر)، الشعراوي، ٥/ ٣٠١٤.

(٢) ينظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ١/ ٤٣٨.

(٣) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (القاهرة–١٩٩٧م) ،١/ ٤٣٨.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، الدار التونسية للنشر، (د.ط)، (تونس: ١٩٨٤)، ٢٩٦/١٦.

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، (القاهرة–٢٠٠٠)، ٦٦٩/١.؛ الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، (د.ط)، (بيروت–د.ت)، ٥٩٥/٥. ؛ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي ط١، (بيروت– ١٩٩٧)، ٢٣٨/١.

المبحث الثاني

المطلب الأول : شخصيته وميوله :

إمتاز السَّامري بمواهب تبين انه لم يكن شخصاً اعتيادياً، إذ إنه في كل مرة يتطلع أن يكون له شأنٌ ما، فعند عبور البحر كان في مقدمة الرِّجال، واذا ما دُقِّق النظر في شخصيته تبين انه ممن عُرف بالسخاء والكرم[١]، إذ كان عالماً بالصياغة وعالما بالنجوم، والكهانة، وكان مطاعا في بني إسرائيل، فقد كان صاحب شخصية ازدواجية، إذ لم يكن مؤمناً بشريعة نبي الله موسى بل كان مشركاً منافقاً، يُظْهِرُ الايمانَ لنبي الله موسى وبني إسرائيل ويُبْطن الكفر، ومثل هذه الشخصية يُمْكِنُ أن تتكرر في حياة الرُّسل (‡)، وفي حياة الدُّعاة والدَّعوات، من هنا لا معنى لمحاولة البعض أن يُضفي على شخصيته الطابع الأسطوري، ويتبع بعض الأوهام والأساطير والإسرائيليات التي أُدخلت في كتب التفسير، وراجت في الإعلام والأسواق، فكانت التربية الخصبة لصائدي السذج والبسطاء [٢].

ويؤكد ذلك ما ذكره سلامة (:): أن السَّامري كان رجلا يعيش في قوم نبي الله موسى ومعه جماعة على شاكلته يُظهرون الايمان ويخفون الكفر، كما هو الشأن مع كل نبي من الأنبياء "صلوات الله عليهم أجمعين" [٣]

وبعد أن اتضحت الرؤية وسُلِّطَ الضَّوء على جَوانبَ مهمة من شخصية السَّامري، يُراودُ الذِّهْنَ سؤالٌ مُحيِّر، هلْ كانت مؤامرة السَّامري عن دراية ومكر ودهاء، أم كانت فتنته مجرد موافقة عابرة، أم أنه كان يعمل لصالح أعداء بني إسرائيل، ولكن من هم أعداء بني إسرائيل! وقد أُهْلِكَ فرعون وهامان وغَرِقَ جنودهما، فيستبعد هذا الاحتمال.

---

(١) يُقَالُ: إِنَّ مُوسَى لما اراد معاقبة السامري لصنعه العجل وتضليل قومه، هَمَّ بِقَتْلِه، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: لَا تَقْتُلْهُ فَإِنَّهُ سَخِيٌّ. ينظر: الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي" أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط٢، (القاهرة–١٩٦٤)، ٢٤١/١١.

(٢) ينظر: السامري، بسام جرار، (بدون)، http://www.islamnoon.com/Asrar/samri.htm .

(٣) ينظر: مواقف بعض الرسل في القرآن الكريم، الشيخ محمد علي سلامة، مطبعة استراند الحديثة، (د.ط)، (القاهرة–د. ت)،٣٣.

لمْ يبقَ سوى احتمال أخير، وهو طلب الزعامة وحُبّ الترؤس، وإذا رُجِّحَ هذا الاحتمال تبين أنها زعامة مؤقتة وتسلط عابر قدَّم بين يديها تلك الكذبة واخترع الإله المزعوم.

ويبدو أن الاحتمال الأول هو الراجح، **(بأن فتنته كانت عن دراية ومكر ودهاء)**، فقد ورد أنَّه أتى بني إسرائيل من باب التدين الزائف، فخاطبهم بلسان الناسك الورع حين استبطأ القوم نبي الله موسى قائلا: إنما احْتُبِسَ عَلَيْكُم مِنْ أَجْلِ ما عنْدَكُم من الحُليّ، فجَمَعُوهُ ورفعوهُ للسامري، فصاغَ منهُ عِجْلاً [١]، فخدعهم بهذا المنطق، إذ إنه كان يخبئ بداخله مكيدة وفتنة عظمى.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ [٢] قيل: وكان السَّامري ماهراً في الصياغة فقد صنع قبل ذلك تمثالا ذهبيا للعجل (أبيس)[٣] معبود المصريين قبل هجرته مع بني إسرائيل من مصر، وقام بصُنْعِهِ بمُنتهى المَكْرِ والدَّهاء إذ لو حُرِّك صَدَرَ مِنْهُ صَوْتٌ كخُوار الثيران، أو أنَّه جَعَلَ فيهِ ثُقُوبا إذا هبّت فيها الرِّيح أصدرَ هذه الأصوات، والماهرون في صناعة الدُّمَى اليوم يجعلونَها تُصْدِرُ بعضَ الأصوات أو أنها تُحرك بعض الأَعضاءِ وليْسَ هذا بِبعيدٍ [٤].

وكأنه دبَّر أمراً عظيماً، لم يطلع عليه أحد، وكما قال زهير: [٥]:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وإنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ [٦]

---

(١) ينظر: تفسير الماوردي النكت والعيون، لابي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (بيروت–د. ت)، ٤١٨/٣.

(٢) سورة طه: من الآية (٨٨).

(٣) أبيس: (APis) إله مصري قديم عبد في منف حيث كان إله هذه المدينة هو بتاح، وسرعان ما اقترن ابيس بذلك الاله وصار رمزه وروحه المباركة، وبعد ذلك اندمج ابيس في أوزيريس فتكون منهما إله جنائزي، ومن ذلك الوقت اتخذ موت العجل أبيس أهمية بالغة، فيدفن في جنازة رسمية وسط جمع من العباد المؤمنين ويحضرون له الهدايا وبمجرد موته يعود فيولد من جديد فيبحث الكهنة في الحقول للعثور على ذلك الاله الذي يعرف بعلامات خاصة، ويحل الفرح ويتوج العجل الالهي في الحظيرة المقدسة بمنف. ينظر: قاموس أديان، قنصوة وسعيد جمعة وآخرون، ٢٧.

(٤) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر، نشر الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، ط١، (القاهرة–١٩٧٢م)، ١٠٥٥/٦.

(٥) زهير ابن ابي سلمى: هو ربيعة بن رباح المزني، من مضر (٦٠٩هـ– ٥٢٠م) حكيم الشعراء في الجاهلية وفي أئمة الأدب من يفضّله على شعراء العرب كافة، ويقال: إن أبياته في آخرها تشبه كلام الأنبياء. ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، ٥٢/٣.

(٦) ينظر: شرح المعلقات السبع، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، أبو عبد الله، دار احياء التراث العربي، ط١، (د.م–٢٠٠٢)، ١٥١/١.

ويروى أنه تفطن لأمر لم ينتبه إليه أحد، وعاين موضع حافر فرس سيدنا جبريل (؛) إذا أصاب الأرض ينبت فيه نبات، فتفرَّس أن الله جعل فيها خاصية الحياة، ثم أخذ قبضة من تراب أثر الحافر وصرَّها واحتفظ بها، وقيل: صرَّ تلك القبضة في عمامته[١]، فلما طرحوا الحُلِيّ في النار ألقى السَّامري تلك القبضة من التراب المذكور قائلا: كُنْ عِجلا له خوار، فجعله الله عجلا جسدا له خوار، يعني كأنَّ الله أَقْدَرَهُ على هذا الفعل ابتلاءً وفتنةً.

وسبق له القيام بإعداد تدبير محكم لهذه الفتنة، مستغلا كل الوسائل التي تساعده في تحقيق مراده، من ذلك وجود نبي الله هارون (؛) مع قومه، فكان إذا رآه يطلب منه الدعاء لإكمال عجله الذهبي، فعن سيدنا ابن عباس (ب) أنه قَالَ: ((أَتَى هَارُونُ عَلَى السَّامري وَهُوَ يَصْنَعُ العِجْل، فَقَالَ لَهُ: مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: مَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَعْطِهِ مَا سَأَلَكَ فِي نَفْسِهِ فَلَمَّا ذَهَبَ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ يَخُورَ فَخَارَ، وَكَانَ إذا سَجَدَ خَارَ، وَاذا رَفَعَ رَأْسَهُ خَارَ، وَذَلِكَ بِدَعْوَةِ هَارُونَ))[٢]، وهذه الرواية قد ذكرها الحاكم في مستدركه على الصحيحين [٣]

ويتبين أن نبي الله هارون (؛) لم يعترض على السَّامري، وهو يقوم بصناعته لأمرين:

الأول: إما لعلمه المسبق أنه يعمل صائغا وأن هذه هي مهنته.

الثاني: أو أنه على ما يُروى قد هيأ قالب العِجْل في حفرة قبل إلقاء بني إسرائيل الذهب فيها.

والتعليق على هذه الرواية: إنها من الإسرائيليات، فقد رويت عن سيدنا ابن عباس (ب)، على فرض صحة سندها، لعلَّ سيدنا ابن عباس نقلها عن أهل الكتاب ممن أسلم منهم، فإنه لا يلزم من صحة الإسناد صحة المتن، لاحتمال صحة الإسناد مع أن في المتن شذوذًا أو علة تمنع صحته[٤].

---

(١) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن المعروف بتفسير البغوي، لابي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي، (د.ط)، (بيروت– ١٩٩٨)، ٣١٨.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١١ /٢٣٥.

(٣) ينظر: المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، كتاب التفسير، تفسير سورة الاعراف،٣٢٥١، ٣٥١/٢.؛ لتخريج الحديث: ينظر: المطَالبُ العَاليَةُ بِزَوَائِدِ المسَانيد الثَّمَانِيَةِ، أحمد بن علي ابن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار العاصمة للنشر والتوزيع – دار الغيث للنشر والتوزيع، ط١، (الرياض–١٩٩٨)، ٥١/١٥، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٤) ينظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، المكتبة العصرية، ط١، (بيروت–٢٠٠٠)، ١٢٨/١.

ومن العلامات الدالة على مكره ودهائه، أنه عندما ذهب الكليم موسى (؛) إلى الطور للميعاد لأخذ الألواح عدَّ السَّامري عشرين يوما وعشرين ليلة ثم قال: إنَّ موسى قد نسى ربَّه وهذا الميعاد قد انقضى [١] وكأنه أراد إقناعهم بأكذوبة أخرى بقوله: إن عودته باتت مستحيلة، وأكد ذلك قائلا: إن موسى لن يرجع وإنه قد مات [٢].

لذا فإن السَّامري استمع لقول سيدنا هارون (؛) حينما نادى في قومه: معكم حلي آل فرعون وهي لا تحلّ لكم فادفنوها في موضع من الأرض، فاحتال بمكره فجعل في تلك الحفرة قالب عجل، فلما ألقوا الحلي فيها وواروها بالتراب أوقد السَّامري عليها النار، فصارت عجلا منه شبه خوار[٣] "بالطلسم"[٤].

كما لا يخفى أن السَّامري كان خبيراً بالصنعة، وأنه لما صاغ العِجْل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفَه ويصوِّت [٥]، ولم يكن فيه حياة، لذلك استطاع بما يمتلكه من خبرة ودقة في الصنعة أن يُفَرِّقَ بني إسرائيل فرقا، فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: يَا سَامِرِيُّ مَا هَذَا وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ؟ قَالَ: هَذَا رَبُّكُمْ وَلَكِنَّ موسى أضل الطريق... [٦].

(١) ينظر: البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط)، (بور سعيد–د. ت)، ٣ /٩١.

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لابي حيان محمد بن يوسف بن حيان الاندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، (د.ط)، (بيروت–١٩٩٨) ،١٨١/٥.

(٣) ينظر: درج الدرر في تفسير الاي والسور، لابي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: طلعت صلاح الفرحان، دار الفكر، ط١، (عمان– ٢٠٠٩)،٦٩٩/١.

(٤) الطلسم: علم يتعرف مِنْهُ كَيْفيَّة تمزيج القوى الْعَالِيَة الفعالة بالسافلة المنفعلة ليحدث عَنْهَا أمر غَرِيب فِي عَالم الْكَوْن وَالْفساد، وَهُوَ مَعْرُوف عِنْد الْحُكَمَاء بالليمياء كَمَا أَن الْعلم بتبديل قوى الْأَجْسَام المعدنية بَعْضهَا بِبَعْض ليحصل مِنْهُ الذَّهَب وَالْفِضَّة يسمونه بالكيمياء. ينظر: دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت –٢٠٠٠)،٢٠٢/٢.

(٥) ينظر: السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، محمد بن احمد الخطيب الشربيني، مطبعة بولاق(الاميرية)، (د.ط)، (القاهرة–١٨٦٣) ،١/ ٥١٧.

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،٥/ ٢٥٧.

(قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ)[١] قَرَأَ الْجُمْهُورُ: (وأضَلَّهُمُ) فِعْلًا مَاضِيًا، أَسْنَدَ الضَّلَالَ إلى السَّامري لِأَنَّهُ كَانَ السَّبَبَ فِي ضَلَالِهِمْ، وَقرئ: (وَأَضَلُّهُمْ) بِرَفْعِ اللَّام مُبْتَدَأٌ وَالسَّامِرِيُّ خَبَرُهُ معناه، وَكَانَ السَّامري أشدهُمْ ضَلَالًا لِأَنَّهُ ضَالٌّ في نفسه مضلٌّ غَيْرَهُ[٢].

وفي ختام الحديث تبين أن هذه الشخصية تملك من الحِيَل والدَّهاء الكثير، وقد أُختلف فيها، إلا أنه من خلال البحث لم يُعثر على روايات صحيحة كافية تفصِّل القول فيها، سوى تلك التي وردت في كتب التراث والتي ينبغي التوقف عندها دون تصديق ولا تكذيب، فهو من باب ((**حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إسرائيل ولا حَرَجَ**)) [٣]، ويستثنى من ذلك آيات القرآن الكريم، فهي الوثيقة الصادقة التي من خلالها وأقوال المفسرين، تُرى ملامح هذه الشخصية، وكيف استطاعت أن تؤثر بالمجتمع الإسرائيلي؟

فالقرآن الكريم عندما تكلم عن اليهود وصفهم بقوله: **سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ** [٤]، وعند ربط الآيات القرآنية بالأحاديث النبوية يعطي نقاط التقاء بين شخص السَّامري واليهود، فالسُّنّة تخبرنا أنه لمَّا أسلم عبد الله بن سلام [٥] أتى رسولَ الله (ﷺ) فقال: يا رسولَ الله: ((**إنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهْتٌ...**))[٦]، الْمعْنَى: أَنهم يبهتون بِالْكَذِبِ، فإن علمُوا بِإِسْلَامي بَهَتُونِي عنْدك: أَي كذبُوا عَليّ مَعَ حضوري، والبهتان: الْكَذِب الَّذِي تتحير من بُطْلَانه وتعجب من إفراطه [٧]، فالسامري وجد ضالته في مجتمع يُحِبُّ سَمَاع الكذب، وجاء موافقا لهم ولأهوائهم [٨].

---

(١) سورة طه: الآية (٨٥).

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان، ٧ /٣٦٧.

(٣) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، رقم الحديث: ٣٤٦١، ٤/١٧٠.

(٤) سورة المائدة: من الآية (٤٢).

(٥) عبد الله بن سلام: أَبُو الحَارِثِ الإِسْرَائِيْلِيُّ، حَلِيْفُ الأَنْصَارِ، الإِمَامُ الحَبْرُ، المَشْهُوْدُ لَهُ بِالجَنَّةِ، مِنْ خواصِّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، حدَّث عَنْهُ: أَبُو هُرَيْرَةَ، وَأَنَسُ بنُ مَالِكٍ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ مَعْقِلٍ، وآخرون، وَلَهُ إِسْلاَمٌ قَدِيْمٌ بَعْدَ أَنْ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِيْنَةَ، وَهُوَ مِنْ أَحْبَارِ اليَهُوْدِ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢/٤١٣.

(٦) صحيح البخاري، البخاري، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ، رقم الحديث: ٣٣٢٩، ٤/١٣٢.

(٧) ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، (د.ط)، (الرياض–د. ت)، ٣/٢٨٩.

(٨) السامري الكذاب بين الحقيقة والسراب، نعيم محمد عبد الغني، جريدة الشرق القطرية، ١٧– اغسطس– ٢٠٢٠ ٢٠٢٠ م، العدد (٣١٧)، https://al-sharq.com/opinion/writer/ .

المطلب الثاني : مصير السَّامري والإله المزعوم :

إن القرآن الكريم لَمْ يُحدِّدْ بنص قطعي نهاية وموت السَّامري، وإنه لم يعط دليلا واحدا على استمرار حياته، إلا أنه ذكر مصيره وعقوبته دون معرفة المآل، فتسلسل القصص القرآني يروي توجيه نبي الله موسى (؛) سؤاله للسامري عن سبب الفتنة التي أحدثها في بني إسرائيل، قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ[١]، مَعْنَاهُ مَا طَلَبُكَ لَهُ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ الْإِنكار عَلَيْهِ[٢]، وما حكاه القرآن عنه، ثم ألقى السَّامري بين يدي نبي الله موسى(؛) عددا من الاعذار الواهية ليبرئ نفسه، ويتهرب من فتنته الكبرى، وبعدما سمع نبي الله موسى(؛) من السَّامري ما سمع، أعلن الكليم موسى (؛) الحكم على السَّامري أمام الجميع، قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا [٣] قوله: (فَاذهَبْ) وعيد من الكليم موسى(؛)، ولذا فإن السَّامري فهم الخطاب فخاف وهرب، وأما المساس فمصدر كقِتَال، من قاتل ويدل على المشاركة، والمراد به النهي أي لا تمسّني ولا امسّك، وهو منفي بـ (لا) التي لنفي الجنس، أي لا أَمسَّ ولا أُمسَّ، وذُكر أن الكليم موسى(؛) أمر بني إسرائيل أن لا يؤاكلوه، ولا يخالطوه، ولا يبايعوه، قالوا: كانَ إذا مَسَّه أحد حمَّ الماسُّ والمَمْسُوسُ، فكان إذا أراد أحد أن يمسَّه صاح خوفاً من الحُمى، وقال لا مِسَاسَ، وقيل المراد بقوله: ( ) المنعُ من أن يخالط أحداً أو يخالطه أحد، وإن الكليم موسى (؛) أخرجه من محلة بني إسرائيل، فخرج طريدا إلى البراري[٤].

قال القرطبي(:) : وَكَأَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ شَدَّدَ عَلَيْهِ الْمِحْنَةَ، وَيُقَالُ: أنه ابْتُلِيَ بِالْوَسْوَاسِ وَأَصْلُ الْوَسْوَاسِ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: بَقَايَاهُمْ إلى الْيَوْمِ يَقُولُونَ ذَلِكَ- لَا مِسَاسَ- وَإِنْ مَسَّ وَاحد مِنْ غَيْرِهِمْ احدا مِنْهُمْ حُمَّ كِلَاهُمَا فِي الْوَقْتِ [٥]، وهذه عقوبة ومصير كل من سلك درب الضلال والإضلال.

---

(١) سورة طه: الآية (٩٥).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، محمد بن عمر فخر الدين الرازي، دار احياء التراث العربي، ط٣، (بيروت-١٩٩٨)، ٩٤/٢٢.

(٣) سورة طه: الآية (٩٧).

(٤) ينظر: تفسير جامع البيان، الطبري،٣٦٣/١٨.؛ مفاتيح الغيب، الرازي،٩٦/٢٢.؛ فتحُ البيان في مقاصد القرآن، القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن البخاري القِنَّوجي، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، (د.ط)،(بَيروت-١٩٩٢)، ٢٧٢/٨.؛ تفسير الماوردي ، الماوردي، ٤٢٣/٣.؛ بنو اسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد طنطاوي، دار الشروق، ط٢، (القاهرة-٢٠٠٠)، ٥١٨.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٤١/١١.

ثم ربط القرطبي أمر السَّامري ومآله بمسألة أخرى قائلا: هَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ فِي نَفْيِ أهل الْبِدَعِ وَالْمَعَاصِي وَهُجْرَانِهِمْ وَأَلَّا يُخَالَطُوا، وَقَدْ فَعَلَ النَّبي (غ) ذَلِكَ بِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَالثَّلَاثَةِ [1] الَّذِينَ خُلِّفُوا[2].

قال الزمخشري(:): عوقب بعُقُوبة لا شيء أطمَّ منها ولا أوحشَ، وذلك أنه مُنِعَ من مخالطة الناس منعاً كلياً، وحُرِّم عليهم ملاقاته ومكالمته، ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا، وإذا اتفق أن يماس أحدا رجلا أو امرأة حمَّ الماسُّ والمَمْسوس–وذلك انه تعالى– رماه بداء عقام، ولا يكاد يمس أحدا أو يمسه كائن من كان إلا حمَّ من ساعته حمى شديدة– فتحامى الناس وتحاموه، وكان يصيح بأقصى صوته لا مساس، وعاد في الناس أوحش من القاتل اللاجئ إلى الحرم، ومن الوحش النافر في البرية...، وكانت هذه إحدى العقوبات في شريعة نبي الله موسى(؛) عقوبة العزل، وإعلان دنس المدنس فلا يقربه أحد ولا يقرب أحدا [3].

وكأنه قد عوقب بحرب نفسية وجسدية كان ضررها أشد عليه من وقع النبال.

---

(١) والثلاثة الذين خلفوا: رَهْطٌ منهم: كعب بن مالك، وهو احد بني سَلِمة، ومرارة بن ربيعة، وهو احد بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية، وهو من بني واقف، وكانوا تخلفوا عن رسول الله غ غزوة تبوك... فلما رجع رسول الله غ إلى المدينة، صَدَقه أولئك حديثهم، واعترفوا بذنوبهم، ... فحلفوا لرسول الله غ: ما حبسهم إلا العذر، فقبل منهم رسول الله وبايعهم، ووكَلَهم في سرائرهم إلى الله، ونهى رسول الله غ عن كلام الذين خُلِّفوا–وَاعْتَزَلَ الْمُسْلِمُونَ كَلَامَ أُولَئِكَ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ–، وقال لهم حين حدَّثوه حديثهم واعترفوا بذنوبهم: قد صدقتم، فقوموا حتى يقضى الله فيكم. فلما أنزل الله القرآن، تاب على الثلاثة، وقال للآخرين: (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم)، حتى بلغ: (لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) (سورة التوبة: ٩٥، ٩٦). ينظر: جامع البيان، الطبري، ٥٤٨/١٤.؛ السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، مصطفى البابي الحلبي، ط٢، (القاهرة– ١٩٥٥)، ٥٣١/٢.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ٢٤١/١١.

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، ط٣، (بيروت– ١٩٨٥)، ٢٥١/٢؛ في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، ط١٧، (بيروت–١٩٩١)، ٢٣٤٩/٤.

وهذه العقوبة شبيهة بمسألة النفي والتغريب في باب التعزير المعروفة في الفقه الإسلامي لمن أصاب حدًّا من حدود الله كنوع من التأديب، إذ يُغرَّب الزَّاني من بلده إلى بلد آخر كجزء من الحدِّ، ويُقدِّرُ الإمام ما فيه المصلحة والمدَّة [١].

وهناك من يبحث عن سرِّ عقوبة السَّامري والتنكيل به فقد ذكر بعض المفسرين أسراراً منها:

- **أولا:** إن السرَّ في عقوبته على جنايته بما ذكر –على ما قيل– إنها ضد ما قصده من إظهار ذلك؛ ليجتمع عليه الناس ويعززوه، فكان ما فعله سببا لبعدهم عنه وتحقيره.
- **ثانيا:** قيل إنه عوقب بذلك ليكون الجزاء من جنس العمل، حيث نَبَذَ فَنُبِذَ، فإن ذلك التحامي أشبه شيء بالنبذ.
- **ثالثا:** لعل السرَّ في ذلك ما بينهما من مناسبة التضاد فإنه لما أنشأ الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحياة الموات عوقب بما يضاده، حيث جعلت ملابسته سببا للحمى التي هي من أسباب موت الأحياء [٢]، ويبدو ان هذا الرأي هو الاصوب.
- **رابعا:** ومنهم من ذهب إلى معنى آخر، وهو أنَّ اللهَ قد قَطَعَ ذِكْرَ السَّامري وجعله أبترَ بلا نَسْل، لذلك ذهب الرازي في تفسير قوله تعالى: (لا مِسَاس) "أنه يجوز أن يكون معناه: لا أريد مسَّ النساء، فيكون من تعذيب الله إياه، وانقطاع نسله، فلا يكون له ولدٌ يُؤنِسُه، فيُخليه الله تعالى من زينتي الدنيا اللتين ذكرهما بقوله الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا [٣]، وهذا القول ذكره القنوجي وقال: هو ضعيف جداً[٤] ، إذ أورد البغوي قول ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا مِسَاسَ لك ولولدك[٥]، والواحدي يقول: (لا مساس) عقوبة له ولولده[٦]، معنى ذلك أنَّ له ذرية لا كما تقدم.

---

(١) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، مجموعة من المؤلفين، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط١، (الكويت – ٢٠٠٦)، ٣٠٩/٢٥– ٤١/ ١٢٦.

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ٢٩٨/٥.

(٣) سورة الكهف: الآية (٤٦).

(٤) ينظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن، ٢٧٣/٨.

(٥) ينظر: تفسير البغوي، ٢٧٣/٣.

(٦) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، ٢٢٠/٣.

فهذه العقوبة أيَّاً كانت مما ذكرناه هي أشد وقعا وأقسى على قلبِ السَّامري من القتل، وربما يقع احتمال آخر، أنَّ الكليم موسى (؛) علم من طبيعة أتباع السَّامري أنَّه لو تم قتله لتحوَّل عندهم إلى رمزٍ مقدَّس كما يُستشعر ذلك من قوله تعالى: وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ [١] لذلك كان بقاؤه منبوذاً أو معتوهاً يهيمُ في القفار أوقع في إزالة الشبهة التي علقت في أذهانهم من قتله.

وهذه واحدة من الإشارات والدلالات المهمة التي تستدعي التأمل والتحقيق، تلك التي أشار إليها سعيد حوى، في مسألة المساس إذ يقول: نلاحظ أنه في الهند يعبدون البقر، وفي الهند "طبقة المنبوذين" الذين لا يَلْمِسُون غيرهم من بقية الطبقات ولا يَلْمسُهم غيرهم، فما الصلة بين ذلك، وبين قصة السَّامري وعقوبة موسى له بأن يقول: (لا مساس)، هو ما دعانا إلى طرح هذا التساؤل: هو أن بعض المفسرين يَذْكُرون أن السَّامري ليس من بني إسرائيل، والدليل على ذلك قول ابن كثير: في رواية ابن عباس(ب) أنه من كِرْمَان [٢] وبعض المفسرين مَنْ قال: ولا زالت بقاياهم حتى الآن[٣]، وقال ابن كثير(:): (أن تقول لا مساس) عقوبة لهم وبقاياهم اليوم يقولون لا مساس[٤]، يقول ونحن الآن لا نعرف احدا يقول لا مساس إلا طبقة المنبوذين في الهند، فهل ربط هؤلاء المفسرون هذه الظاهرة بهذه القصة؟ موضوع يحتاج إلى تحقيق لقبوله أو رفضه، فهل يا ترى أن السَّامري ترك الأرض المقدسة، وذهب إلى بلد آخر كالهند، وهؤلاء من بنيه وأتباعه، خاصة وأهل الهند يعظمون ويقدسون البقر، أو أن حادثاً مشابهاً حَدَثَ في الهند عاقب الله به أصحابه ذات العقوبة على يد رسول، ثم حُرِّفت الديانة، واختلط الأمر وبقيت هذه القضية أثراً عن ذلك- الله أعلم [٥]، وما ذكره حوّى من تحليل يبقى مجرد اجتهاد يحتمل الوجهين.

---

(١) سورة البقرة: من الآية (٩٣).

(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ٨١/٣.؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت- ١٩٩٣)، ٣٥/٤.؛ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، ط١، (بيروت-١٩٩٨)، ٣٧٨/٢.؛ البحر المحيط، ابو حيان، ٣٦٧/٧.؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٧٥/٥.

(٣) ينظر: جامع البيان، الطبري، ١٥٣/١٦.؛ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت - ٢٠٠٢)،٢٥٨/٦.؛ معالم التنزيل، البغوي، ٢٧٣/٣.؛ زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١، (بيروت-٢٠٠١)، ١٧٤/٣.؛ لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الخازن، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت- ١٩٩٤)، ٢١٢/٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٧٦/٥.

(٥) ينظر: الاساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام، ط٦، (القاهرة-٢٠٠٣)، ٣٤٠٤/٧.

كما ذكر عيد: أن لفظ "التابو" يطلق على ما يحرم عليهم مسه من الاشياء بسبب قداستها أو نجاستها، وظلت فكرة الاضراب عن أكل بعض الطواطم مستمرة في بعض المجتمعات، و(الطواطم) وهي تلك الرموز المتخذة للعبادة من الحيوان والنبات تتخذها أسرة أو عشيرة ما رمزا مقدسا لها، وهي أشهر الديانات البدائية، فالبقرة مثلا؛ هي تابو عند الهنود، والخنزير تابو عند اليهود، ويرى بعضهم أن يترجم هذا اللفظ بكلمة (لا مِسَاس) من قول موسى للسامري ينتهره لصنعه العِجْل الذهبي [١].

هذه عقوبة السَّامري في الدنيا، وأما عقوبته في الآخرة فقد بيَّنها له نبي الله موسى (؛)وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ ۖ[٢]، (تُخْلَفَهُ) قرأها الجمهور بضم التاء وفتح اللام أي: وإن لك موعدا في الآخرة لن يخلفك الله- تعالى- إياه[٣]، بل سينجزه لك، فيعاقبك يومئذ العقاب الأليم الذي تستحقه بسبب ضلالك وإضلالك، كما عاقبك في الدنيا بعقوبة الطرد والنفور من الناس، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (لَنْ تُخْلِفَهُ) بضم التاء وكسر اللام أي: وإن لك موعدا في الآخرة لن تستطيع التخلف عنه، أو المهرب منه، بل ستأتيه وأنت صاغر...[٤]، ثُمَّ وَبَّخَ النبيُّ مُوسَى (؛) السَّامريَّ بِمَا أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ بِالْعِجْلِ الَّذِي اتَّخَذَهُ إِلَهًا بقوله: وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ۖ[٥] أي معبودك (العِجْل) وَانْظُرْ إلى مَعْبُودِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ مُقِيمًا تَعْبُدَهُ، وسماه إلهًا؛ لأنه – – في زعم السَّامري – إله، يعني بظنّك وعلى زعمك، وَخَاطَبَهُ وَحْدَهُ إذ كَانَ هُوَ رَأْسَ الضَّلَالِ، وَأَقْسَمَ (لَنُحَرِّقَنَّهُ) بالنار، وذكر ابن كثير: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالسُّدِّيِّ: سَحَلَهُ بِالْمَبَارِدِ وَأَلْقَاهُ عَلَى النَّار [٦].

(١) ينظر: الديانة اليهودية، يوسف عيد، دار الفكر اللبناني، ط١، (بيروت-١٩٩٥)، ٦.

(٢) سورة طه: من الآية (٩٧).

(٣) هناك من زعم أن السامري هو المسيح الدجال، وهذا مجرد رأي لا يقوم على دليل صريح من الكتاب والسنة، وإنما هو ضرب من التكهنات، قائلا: إن الموعد الذي حدده الله له هو موعد بشكل فردي أي أنه ليس يوم القيامة، ولم يُنقل هذا القول عن أحد من العلماء بأثر أو خبر، والصواب: أن الموعد الذي ينتظره ولن يُخلَفَه هو ما ينتظره من العذاب الأخروي، وهذا قول جمهور المفسّرين.

(٤) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، (القاهرة-١٩٩٧)، ١٤٤/٩.

(٥) سورة طه: الآية (٩٧).

(٦) ينظر: جامع البيان، الطبري، ٣٦٦/١٨.؛ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٣٠/١.؛ تفسير البغوي، البغوي، ٣٩٣/٥.

قرأ ابن عباس وغيرُه **(لَنَحْرُقَنَّهُ)** بضم الراء وفتح النون بمعنى لنبرِّدنه بالمبرد، وقرأ نافعٌ وغيره **(لَنُحَرِّقَنَّهُ)** وهي قراءةٌ تحتمل الحرق بالنار، والبرد بالمبرد، وبعض المفسرين[١] أوردوا كلمة **(فذبحه)** أي إن العِجْل أخذه موسى فذبحه، ثم حرقه بالمبرد، ثم ذراه في اليم، وكلمة فذبحه ربما ظاهرها يوهم المقصود، إذ معناه في اللغة هو**(الشَقُّ)** أما الذِّبْحُ، بالكسر فهو ما يُذْبَحُ[٢] فالقول بالذِّبح بعيد لما تقدم، إذ لم يكن العِجْل فيه حياة عالعجول.

قال ثُمَّ **(لَنَنْسِفَنَّهُ)** فِي الْيَمِّ أي في البحر نَسْفاً أي لنذرينَّه في البحر تذريةً، حَتَّى تَتَفَرَّقَ أَجْزَاؤُهُ فَلَا يَجْتَمِعَ، وننشرنه فِي الْيَمِّ نَسْفاً نشراً ونثراً بحيث لم يبق من أجزائه في البر شيء، ومن هذا فهم بعض المفسرين أنهم بَردوه في المبارد، ولما كانوا قد قالوا من قبل عن العِجْل: فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ [٣].

وَيَظْهَرُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ قَدْ أَخَذَ السَّامري الْقَبْضَةَ مِنْ أَثَرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ، وَهُوَ دَاخِلٌ الْبَحْرَ حَالَةَ تَقَدُّمِ فِرْعَوْنَ وَتَبِعَهُ فِرْعَوْنُ فِي الدُّخُولِ نَاسَبَ أَنْ يُنْسَفَ ذَلِكَ العِجْل الَّذِي صَاغَهُ السَّامري مِنَ الْحُلِيِّ الَّذِي كَانَ أَصْلُهُ لِلْقِبْطِ، وَأَلْقَى فِيهِ الْقَبْضَةَ فِي الْبَحْرِ لِيَكُونَ ذَلِكَ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ مَا كَانَ بِهِ قِيَام الْحَيَاةِ آلَ إلى الْعَدَمِ، وَأُلْقِيَ فِي مَحَلِّ مَا قَامتْ بِهِ الْحَيَاةُ وَإِنَّ أموال الْقِبْطِ قَذَفَهَا اللَّهُ فِي الْبَحْرِ بِحَيْثُ لَا يُنْتَفَعُ بِهَا كَمَا قَذَفَ اللَّهُ أَشْخَاصَ مَالِكِيهَا فِي الْبَحْرِ وَغَرَّقَهُمْ فِيهِ، وعلى مشهد الإله المزيف يحرق وينسف، يعلن نبي الله موسى (؛) حقيقة العقيدة بقوله: إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ [٤] فليس غيره إلهاً وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أي وسع علمه كل شيء، ومن كان هذا شأنه فهو وحده المستحق للعبادة، فأين تغيب عقولكم إذ تعبدون العِجْل، وبهذا قضى موسى على الفتنة وأرجع قومه إلى التوحيد، وفي ذلك درس لهذه الأمة كيف تقضي على كلّ انحراف [٥].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٧٦/٥.

(٢) ينظر: الصحاح، الرازي، ٣٦٢/١.؛ مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط٢، (بيروت-١٩٨٦)،٣٦٤/١.؛ المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، ط١،(بيروت-١٩٩٦)، ٢٨/٤.

(٣) سورة طه: الآية (٨٨).

(٤) سورة طه: من الآية (٩٨).

(٥) ينظر: جامع البيان، الطبري، ١٥٣/١٦.؛ تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت- ٢٠٠٥)، ٥٧٥/٦.؛ الكشف والبيان، الثعلبي،١٥٢/١.؛ زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ١٧٤/٢.؛ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، ٦٦/٤.؛ في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢٣٤٩/٤.؛ الاساس في التفسير، حوى، ٣٣٨٤/٧.

الخاتمة

١- أن السَّامري اسم علم أعجمي، ورد في القرآن ثلاث مرات في قصة نبي الله موسى (؛) في سورة طه، والسامري في لغة العرب، بمعنى اليهودي، وعلى هذا يتبين ان السامري يهودي الاصل.

٢- لم يذكر القرآن الكريم عن (السَّامري) أمر بدايتِه ولم يحددْ نَسَبه، وكُلّ ما عرفناه أنه كان يعيش مع بني إسرائيل وهم في سيناء، وما نقل عنه أنه كان عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة تعرف بالسَّامرَة.

٣- إن موضوع مولد ونشأة السَّامري لم يتطرق إليه القرآن البتة، إذ كما هو معلوم أن القرآن يذكر أبرز ملامح الشخصية فقط، ولا يتهم بذكر التفاصيل.

٤- إمتاز السَّامري بمواهب تبين انه لم يكن شخصاً اعتيادياً، إذ إنه في كل مرة يتطلع أن يكون له شأنٌ ما، فعند عبور البحر كان في مقدمة الرِّجال، كان عالماً بالصياغة وعالما بالنجوم، والكهانة، وكان مطاعا في بني إسرائيل، وكان صاحب شخصية ازدواجية، إذ لم يكن مؤمناً بل كان مشركاً منافقاً، يُظْهِرُ الايمانَ لنبي الله موسى ويُبْطن الكفر، ومثل هذه الشخصية يُمْكِنُ أن تتكرر في حياة الرُّسل (‡).

٥- إن القرآن الكريم لَمْ يُحدِّدْ بنص قطعي نهاية وموت السَّامري، وإنه لم يعط دليلا واحدا على استمرار حياته، إلا أنه ذكر مصيره وعقوبته دون معرفة المآل.